المرأة ومكانتها فى مصر القديمة

د. وجدى رمضان

قسم الآثار أداب المنيا

لعبت المرأة دورا مهما فى حياة المصرى القديم فهى الأم والزوجة والابنة ، وكانت سببا رئيسيا فى استقرار الحياة الزوجية وتواصلها ، لذلك حرص المصريون القدماء على الزواج المبكر وقد حث الحكيم المصرى على حق المعاشرة ودعا إلى الرفق والتآلف والتوافق بين الزوجين لتحقيق السعادة التى تكسب تلك العلاقة الدوام والاستمرار . وقد كشفت لنا برديات من طيبه ترجع إلى العصر المتأخر والعصر البطلمى المكتوبة بالهيراطيقية والديموطيقية ، عن عقود زواج ونصت هذه الوثائق على أن الزوج يدفع لزوجته مهراً [١]، وحرص المصريون القدماء أيضا على حماية المرأة وأموالها وحرية التصرف فيها بما لها من ذمة مالية منفصلة ومستقلة عن ذمة زوجها فلا أقل من أن تحرر بها قائمة وقت الزواج[٢] وهكذا رأى المشرع المصرى القديم أهمية كتابة مثل هذه العقود وتوثيقها أحيانا حفاظا على الحقوق المدنية نظرا لتعدد الزوجات وما يمكن أن ينتج عنه من منازعات فى الارث بين الأولاد[٣].

وقد أوردت لنا أقوال الحكماء والخطابات العائلية وعقود الزواج والتسويات المالية ما يؤكد مدى جرص المصرى القديم على احترام المرأة زوجة أو أماً فضلا عن رعاية مصالحها والوفاء بكافة حقوقها . إذ بالعقد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تصبح زوجة شرعية تستحق مهرا خاصا بها وكان على الـــزوج أن يعولهـــا طوال حياتها الزوجية سواء كان مقيماً معها فى نفس المنزل أو بعيداً عنها اى سبب يدعو إلى ذلك . وكان يؤول إلى أولادها من بعدها[٤] .

وكانت المرأة بالنسبة لبيتها وزوجها تدعى ست أى سيدة و " حمست " أى حرمه أو زوجة[٥] وكان يطلق عليها أيضا " حبســـت " أى[٦] زوجـــة أو مستورة و " حمست " أى جليسة أو قعيدة كناية عن رفقتها لزوجها وقعودهـــا معززة فى بيتها ، ثم هى " نبت بر " أى ربة الدار أو ست الدار كمـــا يقـــال حتى الآن فى البيوت الريفية . كما أنها فى الوقت ذاته " سنت " أى الأخت أو فى منزلة الأخت بالنسبة لزوجها[٧] .

<u>دور الزوجة الملكية فى وراثة العرش</u> :

وكان لها دورها البارز فى هذا المجال فعن طريقها يتم انتقال العرش فى هدوء من ملك لأخر ولدينا أمثلة متعددة منذ عصر الدولة القديمـــة حتـــى العصر المتأخر .

فقد تزوجت الأميره حتب حرس الثانية ابن خوفو جدف رع وبذلـــك اعطته الشرعية فى تولى عرش البلاد ، كما صورت مع مرر نبتى زوجـــة الملك منكاورع بحجم كبير متساو مع حجم الملك مما يؤكـــد بدورهـــا فـــى الحكم[٨] وكان دور الزوجة الرئيسية للملك يرتكز أساسا عـــلى اسداء النصح

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والمشورة فى بعض الاحيان وقد بدت هذه الظاهرة جلية فى عصر الدولة الحديثة مثلما قامت به الملكة تتى شرى وايـاح حتـب واحمـس نفرتـارى ونفرتيتى ونفرتارى . وقد ساعد ذلك على اكتسابهن الخبرة اللازمة لتصريف أمور البلاد بالمشاركة الفعالة مع الملك وربما اكسبهن القدرة على الوصايا على العرش أو وكيلة للوريث القاصر باعتبارها الأم لوريث العرش وهو ما حدث مع نيتو كريس ونفرو سيك وربما نفرتيتى وتاوسرت[٩] .

الوظائف التى تقلدتها المرأة فى المجتمع المصرى القديم :

تولت المرأة فى مجال الحياة الاجتماعية والدينية العديد من الوظائف الهامة فكانت كبيرة الحريم[١٠] والمرضعة[١١] فى بيوت الأمراء والأميرات ومزينة الملك التى تقوم باعداد ملابس الملك أثناء الاحتفالات والمناسبات المختلفة ، والنادبة فى الشعائر الجنائزية والمغنية[١٢] والكاتبة وظهر اللقب الأخير منذ عصر الدولة الوسطى[١٣] .

وفى مجال الحياة الدينية كانت الكاهنة ولاسيما للربة حتحور ونيت وباخت وجحوتى وانوبيس[١٤] و المنشدة الدينية وعازفة الموسيقى .

الدور السلبى للمرأة :

على الرغم من حرص المصرى للاهتمام بالمرأة والاشادة بدورها ومكانتها فى شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية إلا أنه قد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أشار فى بعض الوثائق إلى دورها السلبى والتدبيرى فقد تأمرت علـــى حيـــاة بعض الدول ومن أشهر تلك القضايا ما يعرف بمؤامرة الحريم ضـــد المـــلك رمسيس الثالث بغية الوصول أو اسناد عرش البلاد لأحد أبنائهن فقد دفعهـــم الحقد والكراهية إلى تأليب الناس على التمرد ضد الملك رمســـيس الثـــالث ، فضلا عن استخدام اساليب السحر المختلفة .

وعندما اكتشفت أمر هذه المؤامرة أحيل المتهمون إلى المحكمة التـــى اصدرت احكاما متعددة[١٥] فيهم إلى ما فيها الاعدام . وقد اشارت إلـــى تلـــك الأحداث بردية و تورين وبرديتى لى و رولن أما عن مصير الملكة " تـــى " احـــدى زوجات الملك رمسيس الثالث فانه لازال مجهولا وذلك لأن الوثـــائق لم تسجل الجزاء الذى وقع عليها .

ذكر المرأة فى الحكم والتعاليم القديمة :

نظرا لطبيعة المرأة ودورها فى نشأة الأسرة والمجتمـــع فكـــان مـــن الطبيعى أن يتعرض الأدب المصرى القديم لبعض جوانب حياتها .. فها هـــو الحكيم بتاح حبت من عهد الدولة القديمة يوصى الرجل بزوجته قـــائلا : " ان كنت رجلا ناجحا وطد أواصر الأسرة وأحبب زوجتك ... " ويقـــول ايضـــا " أعـــد لنفسك بيتا واتخذ لنفسك زوجة تكون بمثابة سيدة لقلبك ... ثم يستطرد قائلا " اشبع جوفها واستر ظهرها واجعل قلبها فرحا مادمت على قيد الحيـــاة فهى بمثابة حقل مثمر لزوجها[١٦] " .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويذكرنا الحكيم آني من القرن السادس عشر ق.م في نصائحه للابن " ضاعف الطعام الذى تخصصه لأمك ، واحملها كما حملتك ثم بعد ولادتك حملتك ثلاث سنوات ولم تتضر من فضلاتك .. " وعندما التحقت بالمدرسة لتتعلم الكتابة فيها واظبت دوني على الذهاب اليك يوميا بالطعام والشراب من دارها ... وحينما تصبح شابا وتتخذ لنفسك زوجة تستقر في بيتك ضع نصب عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك ..." (١٧) .

كما أوصى عنخ شاشنقى بالحفاظ على كرامة المرأة والزوجة الأم في حضرة ابنائها : " وفضل الأدب الديني فضل الأم الأرمل التى حملت عبئ تربية ولدها في شخص المعبودة ايزيس التى تحملت عبئ تربية حورس في احراش الدلتا ".

وكانت سمة التوسط في تقرير حقوق الرجل والمرأة من سمات الحياة الاجتماعية في مصر القديمة فكانت عدالة التوريث احدى هذه السمات وقد ظهرت هذه الوثائق في العصور المتأخرة وهذا لا يمنع من وجودها قبل ذلك بفترات زمنية قصيرة دوره من نصائح عنخ شاشنقى : لا تفضل أحد ابنائك على الآخر وانت لا تدرى ايهم سوف يكون عطوفا بل (أكثر من الآخر) .

فقد أشاد المؤرخ ديودور الصقلى بحكمة مواريث المصريين وتفاوت حق الزوجة المصرية القديمة في أمور التملك وحرية التصرف ووراثة الزرج والوصاية على الأبناء القصر ، اختلافا يسيرا من عصر إلى عصر .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن أقدم ما يستشهد به في هذا السياق نصوص مشـــن أحـد كبـــار موظفي سنفرو في الأسرة الرابعة حوالي القرن ٢٧ ق.م . فقد آلت إليه عـــن أمه ما يزيد عن ثلاثين فداناً بناء على وصية أعدتها لأبنائها . وهـــذا المثـــال دليل واضح على حرية المرأة في التصرف في أملاكهـــا وابـرام الوصايـــا وانجازها وفقا لحريتها ورغبتها الخاصة وحقها في التبني وامتـــلاك الأرقـــاء وتحريرهم والظهور في عقود الزواج .

وقد أتاح المجتمع المصري الزراعي المســـتقر للمـــرأة أن تشـــارك بنصيب ايجابي في شتى نواحي الحياة اليومية فهي التي حملت لقب .

- كاهنات المعابد ومنصب حرم أمون ومنشدات وعازفات ومغنيات ، وهن سيدات الطبقة الوسطى .

- الكاتبة (ربما عن وراثة لأبائهن في ذات المهنة) .

- كاتبة رسائل الملكة من عصر الدولة الحديثـــة كمـــا تبـــادلن الرســـائل الانشائية .

- منهن ما تولت تثقيف فتية من الاجانب في البلاط الملكـــي فـــي عصـــر الرعامسة .

- منهن من تلقبت بلقب رئيسة الحكيمات .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- منهن من نسب اليها الاشتراك فى بعض شئون القضاء وبعض شئون الوزراة فى نهاية الدولة القديمة .

- المرضعات ومربيات ونادبات وحاملات القرابين ووصيفات ومشرفات على زينة الملكات والملوك .

- اسهمت بعض كبيرات الأميرات فى مجريات الحكم والسياسة وانتقال العرش وهن[١٨] :

١ - الأميرة خنت كاوس نهاية الأسرة الرابعة .

٢ - الأميرة نبت اقرت نهاية الأسرة السادسة .

٣ - سوبك نفرو رع نهاية الأسرة الثانية عشر .

٤ - حتشبسوت فى نصف الأسرة الثانية عشر حكمت ٢٢ عاما .

٥ - تاوسرت فى نهاية الأسرة العشرين .

٦ - كليوباترا عصر بطلمى .

بعضهن باشرن السلطة من وراء ستار إلى جانب ازواجهن من كبار الملوك[١٩] كل من :

١ - الملكتين نيت حتب ومريت نيت الأسرة الأولى وكانت من أميرات الدلتا .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٢ - تيتى شرى أسرة ١٨ من أبوين من غير فئة الأمراء .

وذكرت في نصوص حفيدها أحمس بالعالمة أو العازفة تقديراً لحصانة رأيها وطول خبرتها .

٣ - اياح حوتب ابنه تيتى شرى أو زوجة ابنها التى نجحت فـــى تحقيــق وحدة الصف الداخلى وجمع كلمة الجيش بعد وفاة ولدها كامس وعند انتقـــال العرش إلى أخيه احمس إبان مراحل الكفاح المسلح ضد الهكسوس .

وقد بلغ من شهرتها الخارجية أن جاملتها بعض جزر البحر المتوسط ومنها جزر كريت وخلعت عليها اللقب التشريعى سيدة الجزر بنت حاونبو[٢٠]

٤ - الملكة احمس نفرتارى ماثلت اياح حتب في علو المكانة والمهابة إلى درجة أن قدسها المصريون إلى جانب أبنها امنحوتـــب الأول بعــد وفاتهــا واعتبارها من الأولياء .

٥ - الملكة تى ام اختناتون وام زوجة امنحوتب الثالث وهـــى ذات اصــل نوبى غير ملكى ولكن فضلها الملك لتكون السيدة الأولى في قصره وفضلهـــا على من سواها من زوجاته . وكانت قويمة الشخصية لدرجة أن راسلها ملوك الشرق وأمراؤه المعاصرون لها وتملقوها تقربا إلى شخصها وإلـــى شــخص زوجها .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٦ - الملكة نفرتيتى : زوجة اخناتون التى ناصرته فى دعوته الجديدة الوحدانية .

وهناك من الملكات من قمن بالوصاية على ابنائهن الذين ورثوا العرش فى سن الطفولة نذكر منهن ام الملك بيبى الثانى فى القرن ٢٣ ق.م.

وخلاصة القول ان المجتمع المصرى اتاح للمرأة صور من العدالة الاجتماعية تمايزت به عن أوضاع الإناث فى كثير من المجتمعات القديمة الأخرى المعاصر بها شرقا وغربا .

الهوامش

(١) عن تفاصيل مثل هذه العقود راجع د. تحفة حندوسة ، الزواج والطلاق في مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

Simpson, Polygamy in Egypt in the Middel Kingdom, JEA

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(٣) 60, 1974,p. 100-5.

(٤) cerny, Papyrus Turin , 1979, verso, 8-9.

تحفة حندوسه ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٥) WB III, p. 76,16; 78, 15 .

(٦) WB III,p. 23-24.

(٧) د. عبد العزيز صالح ، الأسر المصرية في عصورها القديمة ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٣ ، د. عبد الحليم نور الدين ، دور المرأة في المجتمع المصرى القديم ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١٦٤ .

(٨) نو بلكور المرأة الفرعونية ، مترجم القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٥٩ وما بعدها.

(٩) المرجع السابق ، ص ١١٤ – ١١٥ .

Kemp, The Harim- palace at Medinet el Ghurab , in XAS
(١٠) 105, 1978, p. 122-133.

(١١) Maruejol, ASAE 69. 1983, p. 31-319.

(12) Kickmann, " Les harps de l'Egypte pharaonique " in BIE 35, 1953,pp. 309-378.

(١٣) د. عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٤٤ .

(١٤) د. عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص ٨٥ – ١١٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

Ward, Index of the Egyptian administrative and religious titles of Middle Kingdom, Beirut, 1982, p. 46 .

(١٥) نوبلكور ، المرأة الفرعونية ، مترجم القـاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٠١ – ١٠٣ .

د. عبد الحليم نور الدين ، جور المرأة فى المجتمـع المصـرى القديـم ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٣٨ – ٤٠ .

(١٦) د. عبد الحليم نور الدين ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ – ١٦٤ .

(١٧) د. عبد الحليم نور الدين ، دورالمرأة فى المجتمع المصرى القديـم ، ص ١٦٥ – ١٦٧ .

(١٨) د. عبد الحليم نور الدين ، دور المرأة فى المجتمع المصر القديم ، ص ١٨ – ٣٧ .

(١٩) د. عبد العزيز صالح ، الأسرة المصرية ، ص ١٤٣ ، نوبلكو ، المرأة الفرعونية ، ص ١١٥ –١١٩ .

(٢٠) د. عبد العزيز صالح ، المراجع السابق ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com